تقديم:

الكُرد وإقليم الجزيرة الفراتية
تاريخ وحضارة ولغة وأدب

أ. د. خضير عباس المنشداوي
أ. م. د. عبد السلام نجم الدين عبدالله

يُعد إقليم الجزيرة الفراتية من الأقاليم التي تتميّز بموقع جغرافي واستراتيجي مهم في كُردستان والمنطقة العربية، يمتاز هذا الإقليم بحضوره البارز في مختلف عصور التاريخ، ولعل العهد الذهبي لهذا الإقليم كان في التاريخ القديم والوسيط (الإسلامي)؛ فقد نشأت في هذه المنطقة دول وحضارات من أبرزها: الدولتان الميتانية والآشورية في التاريخ القديم، والحمدانيون والزنكيون والأيوبيون في التاريخ الوسيط (الإسلامي)، أما في العصر الحديث فقامت فيها إمارات كُردية عديدة لعل أبرزها وأكثرها قوة هي الإمارة البوتانية.

عند البحث عن حيثيات تاريخ المنطقة في العصر الحديث يتشابه مصير هذا الإقليم بدرجة كبيرة مع مصير كُردستان، ويمكن القول بأنه نسخة مصغرة من كُردستان، فكُردستان قسمت أراضيها بين أربع دول هي: تركيا، والعراق، وسوريا، وإيران، وإقليم الجزيرة الفراتية قُسِّم كذلك بين ثلاث دول هي: تركيا، العراق، سوريا، علماً بانها كانت إقليماً موحداً ضمن حدود الدولة العثمانية حتى بعد الحرب العالمية الأولى.

سُمِّيَ هذا الإقليم بالجزيرة الفراتية، لسببين: الأول: لكونه يقع في حوض نهر الفرات ويمتد حدوده إلى نهر الزاب الكبير أحد روافد نهر دجلة وهي بذلك يشكل شبه جزيرة متكاملة يحيط بها أراضي نهر الفرات من ثلاث جهات: الشمال والغرب والجنوب، وهناك من

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆڵینەوە کوردی

يقول بأن تسمية الفرات قد أُلصقت بإقليم الجزيرة وذلك لتمييزها عن اسم جزيرة العرب، لذلك اشتهر هذا الإقليم باسم الجزيرة الفراتية. علماً انه في التاريخ القديم كان يطلق عليها تسمية (اقور).

أما المعلومات بخصوص الحدود الجغرافية لهذا الإقليم فما زالت مبهمة إلى حد ما، فمن المعروف في الوقت الحالي أن اسم الجزيرة الفراتية يطلق الآن على الأراضي الواقعة بين محافظة نينوى في العراق ومحافظة الحسكة في سوريا، ولكن تاريخياً شمل هذا الإقليم مناطق عديدة يمتد حدوده من الضفة الشرقية لنهر الفرات وتحديداً من منطقة كوباني (عين العرب) شرقاً على الحدود السورية التركية إلى البوكمال على الحدود السورية العراقية، في داخل الدولة العراقية الحالية يمتد حدوده من عانة جنوباً لتشمل محافظات: نينوى وصلاح الدين ودهوك وجزءاً من محافظة أربيل، أما حدوده الشمالية فتقع في داخل الدولة التركية وتشمل المناطق من شرناخ إلى جزيرة بوتان وحصنكيفا وسيرت وباتمان وماردين والازيغ وديار بكر وأورفا لتنتهي مرة أخرى وتلتقي مع الحدود السورية عند ضفاف شرق نهر الفرات.

وبنظرة دقيقة وفاحصة إلى منطقة الجزيرة الفراتية يظهر تنوعها الأثني، والقومي، والديني، فقد سكنت في هذه الجزيرة أقوام عديدة مثل: الكُرد، والعرب، والسريان، والكُرد الايزيديون، والآشوريون، والكلدان، والأرمن، والتركمان، ويتدين ساكنوها بأديان عدة مثل الإسلام، المسيحية، اليهودية، اليزيدية، لذلك نجد اختلافاً كبيراً بين ساكنيها سواء من الناحية القومية واللغوية أو الدينية، وعلى الرغم من بعض تشنجات التاريخ ولكن عاش أهالي الجزيرة بعضهم مع البعض كأنهم أصحاب لون، وعرق، ودين واحد.

عند دراسة تاريخ الجزيرة الفراتية يتبين أن هناك قوميتين اثنتين قد تحكمتا في مصيرها وكانت لهما اليد الطولى في أحداثها التاريخية على باقي القوميات الأخرى فيها وهما: الكُردية والعربية، ويظهر بأن النصف الشمالي من الجزيرة ذو طابع كُردي، والنصف السفلي من الجزيرة ذو طابع عربي؛ لذلك تم التركيز في هذا المؤتمر على القسم الكُردي من الجزيرة الفراتية والذي يمكن أن يطلق عليه اسم (الجزيرة الكُردية)، ويمكن تحديد حدوده الجغرافية بالخط الذي يمتد من كوباني (عين العرب) على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الحدود السورية -التركية لتشمل أغلب أراضي محافظة الحسكة في كُردستان سوريا ولتنتهي عند منطقة قضاء سنجار، وضمن الحدود العراقية تبدأ حدود القسم الكُردي

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆلینێن کوردی

من الجزيرة الفراتية من سنجار مروراً بأغلب المناطق الشمالية لمحافظة نينوى حتى قضاء عقرة ولتشمل محافظة دهوك كلها، ولتبدأ حدودها في تركيا من منطقة شيرناخ وتشمل مدن: سيرت، وباطمان، وجزيرة بوتان، وحصنكيفا، والازيغ، وديار بكر، واورفا، ولتلتقي مرة أخرى بالحدود السورية على الضفة الشرقية لنهر الفرات.

في الفترة السابقة للإسلام وخاصة طوال القرن السادس للميلاد شهدت الجزيرة صراعات دامية، وكانت تلك الصراعات على وجه الخصوص ما بين القوى الكبرى في وقتها الا وهي الإمبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية، ومما زاد في أهمية ذلك الصراع واثره على الجزيرة في كون الحدود السياسية للدولتين البيزنطية والفارسية كانت تمر عبر وسط ذلك الإقليم. وزادت أهمية الجزيرة عندما أصبحت إقليماً من أقاليم الدولة الإسلامية وذلك منذ عام ١٨هـ/ ٦٣٩م فقد أصبحت مركزاً من مراكز الدولة الإسلامية وله أهمية سياسية، وإدارية، وعلمية، واقتصادية.

وللجزيرة الفراتية أهمية خاصة وذلك بحكم موقعها في قلب العالم القديم بين أعالي نهري دجلة والفرات، فقد قامت على ارضها حضارات عريقة وما زالت اثار تلك الحضارات شاخصة حتى اليوم. واهمية الجزيرة بحكم موقعها المتوسط بين كُردستان والعراق وبلاد الشام وتركيا، وكذلك بحكم مواردها الطبيعية والزراعية وأسواق مدنها العامرة. وكانت بحكم موقعها تمثل جسرا ارضيا (بريا) يوصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوبي آسيا، وكذلك في جنوبي أوربا لكونها بصورة عامة تقع بين البحر المتوسط والخليج العربي.

وكان هنالك تداخل تجاري بين كردستان والجزيرة وبلاد الشام وبلاد ما بين النهرين، ولقرب الجزيرة الفراتية من بلاد فارس والخليج في الجنوب واتصال مصر بها عن طريق بلاد الشام اعطى للجزيرة أهمية كبيرة وأصبح لها موقع استراتيجي فيما يخص التجارة العالمية في العصرين القديم والإسلامي الوسيط إذ إن الطرق المارة عبر الجزيرة كانت أقصر الطرق بين غربي وجنوبي أوربا وبين جنوب شرقي أسيا وأوسطها.

لقد ساهمت الجزيرة الفراتية مساهمة فعالة في تقدم الحضارة الإسلامية والفكر العلمي المعاصر فقد ساهم علمائها وبكل أطيافهم من كُرد، وعرب، وتركمان، وسريان، ونصارى ويزيدين، وغيرهم من الأطياف الأخرى في تقديم الكثير من المفاهيم العلمية في مختلف العلوم والفنون، ومن أولئك العلماء الذين ينتسبون الى الجزيرة الفراتية المقرئ أبو

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆڵینەوەی کوردی

الكرم فتيان الحراني، والمحدث عز الدين أبو محمود الرسعني، والنحوي أبو محمد احمد بن سعيد الدنيسري، ومجد الدين عبد الرحيم بن ابي بكر الجزري، والمؤرخ ابن الأثير الجزري، والكاتب فخر الدين الأسعردي، والموسيقي منتخب الدين عمر البرطلي، والموسيقي الحسن بن احمد السنجاري، وعالم الميكانيك بديع الزمان الجزري الذي اول من فكر بعمل انسان آلي يعمل بصورة ميكانيكية ليقدم خدمات معينة، وزين الدين الآمدي الذي اول من ابتكر طريقة لتعليم فاقدي البصر القراءة والكتابة ويكون بذلك قد سبق العلم الغربي (برايل) الذي نسبت له تلك الطريقة وسميت خطأً بطريقة برايل بينما الاصح من الناحية التاريخية والعلمية ان تسمى بطريقة الآمدي لتعليم فاقدي البصر القراءة والكتابة عن طريق استخدام الحروف البارزة التي اول من فكر بها -كما ذكرنا - زين الدين الآمدي.

إن أهمية موضوع المؤتمر تكمن في كونه تناول اقليما واسعا من أقاليم الدولة الإسلامية والشرق الأوسط، هذا الإقليم الذي يكتسب أهمية من نواحي كثيرة: جغرافية، واقتصادية، وسياسية، وعلمية، فانه على الرغم من الاختلاف والتعدد الواحد سواء من حيث التضاريس الطبيعية وما يرافقها من مناخ متباين وتنوع ثرواته فضلاً عن مميزات أخرى قد لا نجدها في أقاليم أخرى ألا وهي التنوع السكاني، إذ نجد في ذلك الإقليم الكُرد، والعرب، والسريان، والكُرد الايزيديون، والأشوريون، والكلدان، والأرمن، والتركمان، وتباين أولئك الأقوام في اديانهم كما هو الحال في الإسلام، والمسيحية، واليهودية، واليزيدية، كذلك الاختلاف اللغوي الواضح بين تلك الأقوام ولكن كل أولئك اتسموا بصفات قد لا نجدها في سكان أي إقليم من الأقاليم الأخرى في المنطقة لكون سكان إقليم الجزيرة تعايشوا بعضهم مع البعض الاخر وفق قيم ومبادئ تقوم على احترام خصوصيات الاخرين سواء في القومية او اللغة او الدين، لذا احتل ذلك الإقليم تلك الخصوصية خصوصية الاخاء والمحبة والتعاون ونتج عن ذلك حضارة زاهيه ساهمت مساهمة حقيقية في تقدم الحضارة الإسلامية وحضارة المنطقة وانعكست أثاراها إيجابيا على الفكر العلمي المعاصر.

وبخصوص اللغة وآداب الجزيرة الفراتية نرى بان هناك لغتان منتشرتان في الإقليم أكثر من غيرهما، وهما: اللغة الكردية في الشمال واللغة العربية في الجنوب، ولكن هناك لغات عدة أخرى كانت تعيش في هذه المنطقة وما زالت، مثل اللغات: الأرمنية، السريانية، الأشورية، التركمانية، والتركية، وكانت لكل منها خصوصيتها الخاصة، وقد اثر هذا التنوع اللغوي بدرجة كبيرة في إغناء الثقافة العامة لإقليم الجزيرة الفراتية، وقلما نجد إقليماً في مراحل التاريخ المختلفة يتمتع بهذا التنوع اللغوي.

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆلینێن کوردی

يعد تطور الأدب الكردي في الجزء الكُردي من إقليم الجزيرة الفراتية أبرز سماتها في العصر الحديث، فيمكن القول بان أوج تطوره كان في القرون الأولى من العصر الحديث، إذ ظهر أدباء كانوا مفكرين الفوا أشعاراً ما زالت صدها تسمع وتدرس ليست في منطقة الجزيرة الفراتية فحسب وإنما في جميع زوايا كردستان مثل: الملا احمد الجزري، واحمد الخاني وفقي طيران الذين يعدون من رواد الأدب الكُردي، كما انه لا يجب أن ننسى أنه في القرن العشرين ظهر احد ابرز وجوه الشعراء في هذا الإقليم ونعني به الشاعر البهديناني الكبير احمد نالبند الذي الف ديوانا شعريا كبيرا فاقت أبياته الستين الف بيت. وعن طريق دراسة نتاجات هؤلاء الشعراء بمناهج نقدية معاصرة يمكننا أن نبين مدى رقي تلك النتاجات وتصنيفها من ضمن النتاجات العالمية.

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆڵینەوە کوردی

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ ڤەکۆلینێن کوردی